دور العلماء وجهودهم تجاه الأزمات الاقتصادية في العراق العصر العباسي (١٣٢ ـ ٦٥٦هـ / ٧٤٩ ـ ١٢٥٨م)

م.د.مهند نافع خطاب المختار*

تأريخ التقديم:٢٠١٣/٧/٨ تأريخ القبول:٢٠١٣/٩/١٦

١ ـ مكانة العلماء في المجتمع العباسي :

يعتمد سر بقاء الدول وتقدمها على عنصرين هامين هما العلم والاقتصاد، وإهمال احدهما يؤدي إلى الضعف والانحلال والانهيار، والعلم يحمله العلماء فهو يتحصل عن طريقهم، لذا فان المجتمعات بحاجة إليهم في كل الأوقات، وتشتد الحاجة في أوقات التحولات الكبرى التي تتميز بالاضطراب والاهتزاز، وكلما ضاقت الأمور واشتدت الأزمات احتاج الناس إلى المصلح والقائد لإرشادهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة وإيجاد الحلول والمعالجات لتلك الأمور، لأنهم يمتلكون العلم والقراءة الواعية والدقيقة للواقع الذي يعيشونه، ولهم القدرة على إصلاح وتغيير واقع المجتمعات في مختلف المجالات وكل بحسب اختصاصه(١)... أنهم العلماء الفئة المثقفة التي ينتظم تحت لوائها كل المشتغلين بالعلوم الدينية ، والعلوم الأخرى بأصنافها كافة والشعراء والأدباء، الذين حظوا جميعاً بمكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي(٢)، ويكفي لبيان شرفهم وعِظم مسؤوليتهم وأهمية دورهم ما وصفهم الله به في مواضع من كتابه العزيز بالخشية والرفعة والأمر بالرجوع إليهم(٣)، وما خصهم به النبي ﷺ في كونهم

* قسم الفلسفة/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

(١) عن اهمية العلم والعلماء ودورهم في المجتمع ينظر على سبيل المثال لا الحصر : ابو نعيم الاصفهاني ، احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق بن موسى بن مهران : حلية الأولياء وطبقات الاصفياء ، دار السعادة (مصر ـــ ١٩٧٤م) ، ٦ / ٣٦١ .

(٢) تمتع الفقهاء والمحدثون والمشتغلون ببقية علوم الدين بالمكانة الاكثر حظوة من بين سائر المشتغلين بالعلوم، وتمتعوا بقوة تاثير في الوسطين الاجتماعي والسياسي، كما حظي المشتغلون بالعلوم الاخرى بمكانة مرموقة ، وينطبق الامر على الادباء والشعراء ايضاً . ينظر: موفق سالم نوري : العامة والسلطة في بغداد ، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع ، (الاردن : ٢٠٠٥)، ص ٢٥ .

(٣) سورة المجادلة : الاية ١١ ، سورة فاطر : الآية ٢٨ .

"ورثة الأنبياء"[١] فحيثما وقعت الفتن واختلطت الأمور احتاج الناس إلى أنبياء الله ورسله فإن لم يجدوا فعندئذ يقصدوا ورثتهم الذين يقولون بقولهم ويدلُّون على هديهم، وليست تلك المنزلة لغيرهم[٢] .

إن إدراك عظم المكانة التي احتلها العلماء وأهميتها وحاجة الأمة إليهم يبين لنا خطر غياب دورهم أو تغييبه، فإن الثغرة التي هم عليها لا يسدُّها غيرهم . والمراد من العالم أن يقوم بما يستطيع، وهو معذورٌ فيما لا يحسن، و((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها))[٣].أما إذا استطاع العالم وقَدِر فإن المرجو منه شمولية الأهداف والمشاريع، والمنتظَر منه إصلاح واقع الأمة بكل مجالات ذلك الواقع واتجاهاته[٤]، ومن هنا نجد أن سلفنا من العلماء المسلمين كانوا موسوعيين وحاولوا الإصلاح في معظم المجالات .

ويعد العلماء ولاسيما الفقهاء من الفئات المؤثرة في المجتمع الإسلامي، لأنهم أكثر قدرة على فهم أبعاد التشريعات ذات الصلة بالمجتمع في مختلف المجالات، لامتلاكهم أدوات فهم الشريعة تجعلهم موضع قبول لدى جميع فئات المجتمع، ولقد اتخذت مواقف العلماء وجهودهم بعدين مختلفين في طبيعتهما، وكان الأول عملياً والثاني نظرياً او فكرياً، وفي بحثنا هذا سوف نركز على دورهم في إدارة الأزمات الاقتصادية التي واجهت الخلافة العباسية ومعالجتها ووضع الحلول العملية[٥] لتخفيف أضرارها والحد من آثارها الفادحة والكبيرة .

وقد أدرك الخلفاء العباسيون المكانة الكبيرة للعلماء في المجتمع ولاسيما علماء الدين لذا نجدهم يرتكزون عليهم ومنذ بداية الدعوة العباسية، لإثبات الشرعية لدعواهم السياسية، وشد

(١) ينظر : ابو نعيم : حلية الأولياء ، ٥ / ٩١ ـ ٩٢ ؛ روى عن الفقيه سهيل بن عبد الله (ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) انه قال : ((من اراد ان ينظر الى مجالس الانبياء فلينظر الى مجالس العلماء)) ، ابن الازرق الاندلسي ، ابو عبد الله محمد : بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق : محمد بن عبد الكريم ، (تونس : ١٩٧٧م) ، ١ / ٢٤٤ .

(٢) محمد طاهر الجوابي : المجتمع والاسرة في الاسلام ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٣ (د.م : ٢٠٠٠م) ، ص ٤٦ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٨٦.

(٤) ناصر العمر : دور العلماء في قيادة الامة ، مقالة منشورة على موقع المسلم على شبكة المعلومات الدولية http://almoslim.net.

(٥) سوف نتناول الحلول الفكرية للعلماء والمعالجات النظرية للازمات الاقتصادية في العصر العباسي في بحث أخر إن شاء الله تعالى .

أواصر المجتمع وتماسكه وإنقاذه من التفكك والتجزئة [١]. فأصبحوا من أهم الدعائم التي استند عليها الخلفاء العباسيين في سياستهم، ومثلوا حلقة وصل بين الخليفة والعامة .

٢ ـ الدور المؤثر في المجتمع العباسي :

وكانت العلاقة وثيقة بين الخليفة والعلماء بمختلف اختصاصاتهم، وكانوا لا يستغنون عنهم، إذ أحضروهم في مجالسهم وطلبوا منهم الرأي والمشورة بشان اتخاذ القرارات الشرعية، وأبدى كثير منهم أفكارا وآراءً مستقلة، لذا قربهم الخلفاء وأكرموهم[٢]، وعلى الرغم من العلاقة الوثيقة بين الطرفين إلا أن ذلك لم يمنع الفقهاء من ممارسة الدور الرقابي على السلطة ولكن بشكل غير رسمي تمثل من ممارساتهم وعلاقاتهم اليومية وما أتيح لهم من فرص لإبداء الراي والملاحظات التي كانت صارمة وقاسية في أحيان كثيرة[٣]، وفي ذلك أمثلة عديدة تتعلق بما قام به الفقهاء أمثال سفيان الثوري وأبي حنيفة واحمد بن حنبل وغيرهم، لا بقصد التجريح والخروج وإنما بقصد التوجيه والإصلاح[٤] .

وقد أغدقت الدولة العباسية على العلماء الصلات والجوائز السنية، وأجرت عليهم الرواتب الكبيرة للمشتغلين منهم في بعض وظائفها، وهنا لابد من وقفة عند مسالة موقف الفقهاء من إشغال المناصب والوظائف في الخلافة العباسية وقبول الصلات والجوائز السنية فيمكن تحديده بثلاث فئات: فئة اتخذت موقفاً رافضا لتولي المناصب والوظائف متعففة من مال السلطان والخلافة ورافضة لقبول الصلات والجوائز، وفئة أخرى رفضت العمل وتولي المناصب

---

(١) عبد الحميد العابد : علاقة فقهاء السنة بالدولة العباسية في عصرها الأول " ١٣٢ ــ ٢٣٢هــ / ٧٥٠ ــ ٨٤٧م) ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب والعلوم الانسانية قسم التاريخ وعلوم الاثار (الجزائر ــ العام الدراسي ٢٠٠٨ ــ ٢٠٠٩) ، ص ٦٧ .

(٢) ينظر : الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي : تاريخ بغداد وذيوله ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت : ١٤١٧هــ) ، ٣ / ١٧٥ ــ ١٧٦، ٣٥٤ ، ٦ / ٣١٤ ، ٣٦٥ ؛ كارلا ال كلاوستر : دراسة في الادارة المدنية في العصر العباسي ، الوزارة انموذجا ٤٤٧ هــ / ١٠٥٥م ــ ٥٩٠هــ / ١١٩٤م، ترجمة : عبد الجبار ناجي ، بيت الحكمة، ط١ (بغداد : ٢٠٠١م) ، ص ٥٧.

(٣) موفق سالم نوري : العامة والسلطة ، ص ٧٧ .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ٩ / ١٦١ ؛ ابو نعيم الاصفهاني : حلية الاولياء ، ٦ / ٣٧٧ ؛ الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز : سير أعلام النبلاء ، دار الحديث ، (القاهرة : ٢٠٠٦م) ، ٦ / ٦٣ .

والوظائف لكنها قبلت الدخول على السلاطين بغرض المشاورة والنصيحة والوعظ، وقبلت عطايا الخلفاء وكبار رجال الدولة وهداياهم للاستعانة بها في قضاء حوائجهم الشخصية وحوائج المعوزين والمعسرين من العامة، وفئة ثالثة رضت بالعمل للدولة وتولي المناصب والوظائف وأخذت عطاء الخلفاء وكبار رجال الدولة واستعانت به في حوائجها والتصدق به[١] .

٣ ـ الدور الوسيط بين السلطة والعامة :

إن رفض بعض العلماء لتولي الوظائف في الدولة وامتناعهم عن قبول الصلات والجوائز مقابل خدماتهم، يعود إلى ضمان استقلاليتهم في اتخاذ القرارات والمواقف الشرعية تجاه الدولة وعدم الانجرار إلى سياسة المداهنة والتملق للخلافة[٢] .

وما يهمنا من هذه الفئات الفئة التي قبلت العمل في مؤسسات الدولة المختلفة وتولي المناصب والوظائف، وأخذت العطاء والصلات من أموال الخلافة العباسية ثم قامت بصرفه وتوزيعه على الفقراء والمحتاجين من العامة شعوراً منهم بان أولئك الناس هم أحق بتلك الأموال من غيرهم لحاجتهم الماسة إليها في سد عوزهم، ومن هؤلاء الإمام مالك بن أنس رحمه الله الذي كانت نظرته كما ذكر احد الباحثين إلى : ((ان المال مال المسلمين ومن أحق به من أهل العلم الذين وقفوا أنفسهم على تعليم الناس أمور دينهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ... وذلك يقتضي الاتصال بالحاكم لا المقاطعة، والاتصال يوجب عليه ان يقبل العطية ولا يردها))[٣] .

وقد أمر الخليفة المتوكل على الله للإمام احمد بن حنبل بمبلغ قدره (٠٠٠ و ١٠) درهم، فامتنع عن قبولها، فأُرغم على أخذها، ولكنه قام بتوزيعها على جماعة من المحتاجين، من طلاب العلم وغيرهم، من أهل بغداد، والبصرة، فوزعها بمعدل (٥٠ ــ ٢٠٠) درهم لكل شخص[٤] .

---

(١) للوقوف على آراء تلك الفئات وموقفها من الصلات وجوائز الخلافة ينظر : المحاسبي ، ابو عبد الله الحارث بن اسد : المكاسب والورع والشبهة وبيان مباحها ومحظورها واختلاف الناس في طلبها والرد على الغالطين فيه ، تحقيق : نور سعيد ، دار الفكر اللبناني ، ط١ (بيروت : ١٩٩٢م) ، ص ٥٨ ــ ٦٣ ؛ محمد ابو زهرة: ابن حنبل، حياته وعصره ــ آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي (القاهرة : د.ت)، ص٨٢ .

(٢) كارلا ال كاستر : دراسة في الادارة المدنية ، ص ٥٤ .

(٣) محمد ابو زهرة : ابن حنبل، ص٨٣ ؛ وينظر : عبد الحميد العابد : علاقة فقهاء ، ص ١٢٢ .

(٤) ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي : البداية والنهاية ، دار الفكر (بيروت : ١٩٨٦م) ، ٣ / ٣٣٨ .

ووصل الخليفة المكتفي بالله شيخ المفسرين والمؤرخين الإمام الطبري بمبلغ (٠٠٠ و ١٠) درهم، لكنه اعتذر عن قبول تلك الصلة، وطلب من الخليفة أن يوزعها على المحتاجين والمعوزين [١]. كما اعتمدت الخلافة عليهم في توزيع أموال الصدقات على مستحقيها كونهم اعلم من غيرهم وأدرى في هذا المجال، فأدى ذلك إلى زيادة نفوذهم وتأثيرهم في المجتمع . فقد أرسل الخليفة المعتضد بالله إلى الفقيه إبراهيم بن اسحق الحربي (ت٢٨٥هـ / ٨٩٨م) عشرة آلاف درهم لتفريقها بين الناس[٢] .

٤ ـ إسهامهم في التكافل الاجتماعي :

كان العلماء دور في التكافل الاجتماعي في المجتمع بالإنفاق وإخراج الصدقات وإيقاف الأموال والإرث والوصية والضيافة وغير ذلك بهدف القضاء على الفقر وتقليل الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع الإسلامي، ولا سيما من قبل العلماء الأغنياء الموسرين منهم الذين ساهموا بشكل كبير في قضاء حوائج الناس والصرف على الفقراء وطلاب العلم والتكفل بمعيشتهم، وهذا الدور الذي لعبه العلماء رفع من منزلتهم وأعطاهم قيمة اجتماعية كبيرة واستطاعوا بالتالي ممارسة التأثير على المجتمع وتوجيهه بالشكل الصحيح [٣].

رَغَّبَ الله سبحانه وتعالى عباده بالإنفاق في سبيله ، ووعدهم بمضاعفة حسناتهم جزاء ذلك العمل، فصدقات التطوع حقا آخر من حقوق الله في المال غير حق الزكاة التي لا تقل شاناً عن الزكاة، وميدانها واسع جداً سعة عمل الخير، وهي غير محددة بمقدار معين من المال وإنما ترك الشرع للفرد حرية في إخراج ما يستطيع إخراجه بمقدار حبه للخير وابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، فهي طوعية ولكن يتعين وجوبها في حالات الحرب والمجاعة والأزمات .

(١) الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز : تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، ط١(بيروت : ١٩٩٨م) ، ٢ / ٢٠٢ ؛ سير اعلام النبلاء ، ١١ / ١٦٧ , ١٦٨ .

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٦ / ٣١ ـ ٣٢ ؛ مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب : تجارب الامم وتعاقب الهمم ، تحقيق : ابو القاسم امامي ، سروش (طهران : ٢٠٠٠م) ، ١ / ٢٤٢ ، ٢٩٢ ، ٢ / ١١٩ ؛ مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ٤ ق١ / ٢٦٢ .

(٣) ينظر : ابن رجب الحنبلي : زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي : ذيل طبقات الحنابلة ، تحقيق : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة العبيكان ، ط١ (الرياض : ٢٠٠٥م) ، ١ / ٣٥ , ٣٨ , ١٣٥ , ١٤٢ ـ ١٤٣ , ٢ / ١٣٥ , ٢٢٣ , ٤١٨ ، ٣ / ١١٤ , ٣٢٤ ، ٤ / ١٧٥ ، ٥ / ٥٤ .

ومن هنا نجد تسابق العلماء الأثرياء والمقتدرين على إخراج الصدقات الطوعية لكسب مرضاة الله سبحانه وتعالى ولتقديم العون والمساعدة لأفراد مجتمعه المعسرين وأهل الحاجة الذين يعانون من ضيق العيش وضنكه، فاستأذن قوم على عمارة بْن حمزة وكان احد الكتاب البلغاء ليشفعوا إليه في بر قوم أصابتهم حاجة، وكان قد قام عَنْ مجلسه، فأخبره حاجبه بحاجتهم، فأمر لهم بمائة ألف درهم، فاجتمعوا ليدخلوا عليه ويشكروه، فقال له حاجبه، فقال: أقرئهم سلامي، وقل لهم: إني رفعت عنكم ذل المسألة، فلا أحملكم مؤونة الشكر[١] .

وكان الإمام أبو حنيفة فقيها ورعا محموداً، وتاجرا ميسورا له تجارة تدر عليه الدر الوفير، كثير الصلة والبر لكل من لجأ إليه، وكثير الأفضال على إخوانه، وكان يبعث بالبضائع إلى بغداد فيشتري بها الأمتعة ويحملها إلى الكوفة، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة، فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدثين وأقواتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم، فيقول: ((أنفقوا في حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله فاني ما أعطيتكم من مالي شيئا، ولكن من فضل الله علي فيكم، وهذه أرباح بضائعكم فإنه هو والله مما يجريه الله لكم على يدي فما في رزق الله حول لغيره)) [٢]. وربما مر بمجلسه رجل لغير قصد ولا مجالسة، فإذا قام سأل عنه، فان عرف أن به فاقة وصله، وان مرض عاده،حتى يجره إلى مواصلته[٣]، وكان لا يكاد يسأل حاجة إلا قضاها [٤] .

---

(١) للمزيد عن قصص السخاء والبر ينظر : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ١٢ / ٢٧٥ ومابعدها .

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٣ / ٣٥٨ ؛ النووي : ابو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف : تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية (بيروت : د.ت) ، ٢ / ٢٢١ .

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٣ / ٣٥٨ ، ٣٥٩.

(٤) للمزيد عن دور الامام ابي حنيفة رحمه الله تعالى في التكافل الاجتماعي وتقديم الصدقات الطوعية. ينظر : الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٣ / ٣٥٨ ــ ٣٦١ .

وكان الفقيه أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي (ت١٨١هـ/٧٩٧م) من التجار الموسرين، ينفق مائة ألف درهم سنوياً على الفقراء(١) . كان القاضي محمد بن احمد الجراحي رجلا كريما سخيا يدعو أصحاب الحديث وينفق عليهم ويبرهم، وإذا لم يكن معه شيء باع ثيابه وأنفق عليهم(٢) ، واشتهر أبو منصور الشيخ عبد الملك بن محمد بن يوسف الآجل (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م) بالبر ودوام الصدقة سراً ، وعرف عنه تقديمه المساعدات للمحتاجين وتسديد ديونهم حيث كان يعمد إلى دفعها دون علمهم (٣).

وكان هناك من يعمد إلى شراء ما لا يستحق الشراء في السوق والذي يبيعه الضعفاء ويعطيهم ضعف ثمنه ويدعه عندهم، أو يشتري من ضعفاء التجار ثياب وآلات وفرش وطعام وقت الحاجة إليها صيفاُ وشتاءاً ويدفع ثمنها غالياً، ويبيعها للضعفاء وقت استغناء الناس عنها بأسعار زهيدة، ثم يصرف ما يحصل عليه في وجوهه، فينتفع من ذلك الفقراء من العطاء، والمحتاجين من أسعار تلك الأشياء التي يبيعها رخيصة، وينتفع ضعفاء التجار من شراءه لها بأثمان مرتفعة (٤).

ومن العلماء من كان يحسن إلى السجناء من المعسرين والمدينين الذين لا يستطيعون الإيفاء بديونهم، فكان القاضي النعمان يعمد إلى بيع كل ما استعمله في الشتاء من ملابس وفرش وأدوات ويذهب بالأموال إلى القاضي المسؤول عن الحبس فينظر بإقراره، من دون قيام البينة عليه، ولا قدرة له على الوفاء، فيدفع عنه من تلك الأموال، وإذا كان المال الذي عليه كبيراً يعمد الى المصالحة بينهما ويخرجه من السجن(٥)، ولابد من القول أن مثل تلك الأعمال أسهمت في

---

(١) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق : ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية (بيروت : د.ت) ، ١ / ٢١٧ ؛ ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العكري : شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الارناؤوط ، دار ابن كثير ، ط١ (دمشق : ١٩٨٦) ٢ / ٣٦١ ، وللمزيد من روايات الانفاق على الفقراء ينظر ايضاً : ٦ / ٦١ , ١٢٥ ، ٩ / ٣٦٠ ، ١٠ / ٩٠ , ٣٦٩ , ٤٠٩ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ٢ / ٣٦٦ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ٨ / ٣٥٠ .

(٤) التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم البصري : نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، ١ / ٧٨ ــ ٧٩ ؛ وينظر ايضا: ١ / ٨٠ ــ ٨١ .

(٥) التنوخي : نشوار المحاضرة، ا / ١١٧ .

التخفيف من مشكلة الفقر والعوز لدى شريحة أخذت في التزايد والاتساع يوماً بعد يوم في الدولة ، وتقليل الفوارق بين الطبقات الاجتماعية بإعادة توزيع الدخول والثـروات داخـل المجتمـع ، وعملت على تنشيط النشاط الاقتصادي والحركة التجارية ومن تقديم المساعدات المالية لـصغار التجار والباعة التي تضاف الى رؤوس أموالهم التي يتعاملون بها ، وزيادة الطلب الفعـال علـى السلع والبضائع من قبل تلك الشريحة بعد توفر الأموال لديها ، وزيادة حجـم التوظيـف نتيجـة لزيادة الطلب الاستهلاكي للمستحقين الآخذين ، كما أن الاهتمام بإخراج الزكاة والـصدقات مـن قبل الأغنياء سيدفعهم بالضرورة نحو الاستثمار من اجل الحفاظ على رؤوس أموالهم من التأكـل مع مرور السنوات .

واسهم العلماء في توزيع الخيرات والصدقات التي كانت تصلهم من مختلف الأمصار والمدن، فالفقيه احمد بن محمد الاسفرائيني (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م) كانت تحمل اليه من البلاد الزكوات والصدقات فيفرقها على الفقراء والمحتاجين وأهل العوز والمتضررين[١]. وكان الفقيه احمد بن عبدالملك (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) يأخذ صدقات الرؤساء والتجار، ويوصلها الى ذوي الحاجات[٢] .

٥ ـ دورهم في ايقاف الوقوف :

ولم يكتف بعض العلماء بإغداق الأموال على الناس في حياته بل اثر ان يكون له دوراً في هذا الجانب بعد وفاته لذا نراه يوصي بجزء من أمواله للناس الفقراء، فالفقيه الحسن بن شهاب العكبري (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) كان دخله من الوراقة (١٥٠) درهم شهريا، أوصى بثلث ماله لفقراء متفقهة الحنابلة [٣] ، وتصدق الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) أثناء مرضه بماله كله والبالغ مائتي دينار على الفقراء وأصحاب الحديث[٤] ، وتبرع ابو البركات

---

(١) ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد تارحمن بن علي بن محمد : المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت : ١٩٩٢) ، ٧ / ٢٧٧ .

(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي : معجم الادباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، ط١ (بيروت : ١٩٩٣م) ، ٣ / ٢٢٥ .

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٧ / ٣٢٩ ـــ ٣٣٠ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ١ / ٩٣ .

محمد بن احمد بن قفرجل المجهر (ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) بثلث ماله البالغ عشرين الف دينار للفقراء ، رغبة منه بإنقاذهم من الفاقة والحاجة[١] .

ويعد الوقف من أفضل الصدقات ثواباً عند الله سبحانه وتعالى، ولم يكن معروفاً عند العرب قبل الإسلام، سنه الرسول الكريم ﷺ لمصالح لا توجد في الصدقات، بقوله ﷺ : ((إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ))[٢]، ذلك انه مالٌ دائمٌ يصرف في الوجوه التي حددها الواقف وفق رغبته، والأفضل أن يوقفه على الأصناف الثمانية الذين يأخذون الصدقات، فيعطي الفقير والمسكين ما يتم غناؤه، والغارم قدر ما يقضي غُرْمَه [٣]، وهكذا يلعب الوقف دوراً في علاج الأزمات المعاشية التي اصابت عدداً من أفراد المجتمع وخسر كل شي فأصبح احد الأصناف الثمانية فتأخذ أموال الوقف بيده لإنقاذه من الوضع الاقتصادي المتردي الذي وصل إليه، ليستعيد مكانته من جديد .

٦ ـ إيصال صوت العامة إلى السلطة :

لقد كان العلماء على علاقة وثيقة وطيبة بعموم أفراد المجتمع العباسي ولاسيما طبقة العامة التي ساندوها وأسهموا برفع الظلم والحيف عنها، وأصبحت الركيزة التي ارتكزوا عليها في بناء مكانتهم أكثر من اعتمادهم على ما امتلكوه من علم وثروات ومواقع قيادية ومناصب عليا في الدولة، وكانوا لسان حالهم أمام السلطة والمتحدثين نيابة عنهم بصورة عامة[٤] وعند حدوث الأزمات التي تؤثر تأثيراً بليغاً في أحوالهم الاقتصادية وواقعهم المعيشي المتردي نجدهم في طليعة الوفود التي تقدم على دار الخلافة ويعرضون ما الم بهم من خطب بخطاب رائع بليغ

---

(١) واخرج قبل موته الف دينار وتصدق بها . ابن الجوزي : المنتظم ، ١٦ / ١٥٢ .

(٢) الترمذي ، محمد بن عيسى ين سورة بن موسى بن الضحاك : سنن الترمذي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي (بيروت : ١٩٩٨م) ، ٣ / ٦٥٢ ؛ وعن اهداف الوقف العامة والخاصة ينظر : محمد احمد الصالح : التكافل الاجتماعي في الشريعة الاسلامية ودوره في حماية المال العام والخاص ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، (الرياض : ١٩٨٥م) ، ص ١٢٤ ــ ١٢٦ .

(٣) ابن قدامة المقدسي ، ابو محمد موفق الدين عبد الله بن محمد : المغني ، مكتبة القاهرة ، (القاهرة : ١٩٦٨م) ، ٦ / ٢٠٦ ــ ٢٠٧ ؛ حسن محمد الرفاعي: العسرة المادية بين الشريعة والقانون، او مشكلة العجز عن تسديد الديون وكيف عالجها الاسلام ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، (بيروت : ٢٠٠٣)، ص ٣٣٢ .

(٤) كارلا ال كلاوستر : دراسة في الادارة المدنية ، ص ٥٥ .

[١]. وبذل العلماء ولاسيما المقربون من الدولة جهوداً طيبة في إيصال صوت العامة ونقل مطاليبهم واحتياجاتهم إلى السلطة وإيقاف المسؤولين على واقع حالهم ومعاناتهم، وممن اشتهر بهذا الجانب محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الذي كان مقربا جدا من الخليفة ابي جعفر المنصور يؤانسه ويفاوضه ويشاوره، وكان الناس يفزعون إليه لإيصال طلباتهم وحوائجهم الى الخليفة لتلبيتها، حتى أكثر عليه من عرض الرقاع، إلا أن الخليفة المنصور كان يبدي حماساً في تصفحها كلها والتوقيع عليها ودفعها إلى حاجبه لتلبية مطالبهم وتنفيذ ما جاء فيها [٢] .

ويبدو أن الأوزاعي رغم تشدده في الورع وامتناعه عن مخالطة السلاطين الا انه كان يكاتب الخلفاء والولاة في حوائج الناس ، سواء أكانوا مسلمين أم أهل ذمة ، كما يظهر من حكايته مع الذمي الذي كتب له إلى والي بعلبك ليسقط عنه بعضاً من أموال الجزية[٣] .

وأما قاضي بغداد إسماعيل الازدي (ت ٢٨٢هـ /٨٩٥م) فقد كان يعرض الرقاع التي تتضمن حوائج الناس ومطالبهم على الوزير عبيد الله بن سليمان ليوقع عليها، وكانت من الكثرة ما جعله يخشى تبرم الوزير ونفوره وغضبه ، وكان ابو بكر الشافعي يعرض رقاعاً فيها حوائج الناس ومطالبهم على الوزير علي بن عيسى وكانت من الكثرة أحياناً ما يؤدي إلى ضجر الوزير وتبرمه ، وكان القاضي ابو محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي يعرض الرقاع أيضاً على الوزير علي بن عيسى[٤]. وكان صاحب المظالم الفقيه عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي (ت ٥٩٣هـ / ١١٩٦م) يعرض الرقاع على الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ ــ ٦٢٢هـ / ١١٨٠ ــ ١٢٢٥م) ويعمل على قضاء حوائج الناس[٥] .

ولقد جاء اهتمام العلماء في إيصال تلك الرقاع إلى الخلافة لأنها كانت تتضمن في الغالب الشكوى من ضعف الحال وقلة ذات اليد وعدم القدرة على القيام بأعباء الحياة وطلب العون

(١) المسعودي: مروج الذهب، ٢ / ١٤٠ .
(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ٢ / ١١١ ــ ١١٢ ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله : الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، (بيروت : ٢٠٠٠م) ، ١٩ / ٢٠٤ .
(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ٩ / ١٥٩ .
(٤) التنوخي : نشوار المحاضرة، ١ / ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ .
(٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ١٦ / ٢٠٨ .

المادي، والشكوى من سوء الإدارة وسوء معاملة بعض أصحاب المناصب والوظائف ، واغتصابهم لحقوق الناس(١) .

ولم يقف دور العلماء عند إيصال صوت العامة إلى المسؤولين في السلطة وتعريفهم بحوائجهم فحسب، بل كانوا وبحكم قربهم من العامة في الحياة الاجتماعية على دراية بحاجاتها ومتطلباتها ومستلزماتها وما ألمَّ بها من مصائب ومحن ومدى الضائقة التي حلت بها، يتقدمون بطلبات للخليفة يلتمسون فيه العفو عن المظلومين في السجون وإيقاف عمليات المصادرة لأموالهم وذلك لان علاج الأزمة المالية التي ألمت بالدولة لا يكون من مصادرة أموال الأغنياء والتجار والموظفين دون وجه حق(٢)، فقد طلب القاضي أبو عبد الله احمد بن أبي داؤد من الخليفة الواثق (٢٢٧ ــ ٢٣٢هـ / ٨٤٢ ــ ٨٤٧م) الإفراج عن السجناء والمظلومين، وقد كان وزيره محمد بن عبد الملك الزيات قد ملأ السجون بالكتاب والعمال من أجل مصادرتهم واستحصال الأموال منهم، فأمر الخليفة الواثق وزيره بإطلاق كل من في الحبس، من غير استئمار ولا مراجعة(٣) .

٧ ـ الحفاظ على حقوق العامة ومصالحها :

وبلغ من حرص العلماء على حقوق الناس ورعاية مصالحهم والوقوف إلى جانبهم ضد أي شخص كان حتى ولو كان ذلك الشخص يتولى منصباً كبيراً في الدولة، بالنصح والإرشاد في سلوك الطريق الصحيح وعدم تعطيل الناس عن أعمالهم وإعطاءهم حقوقهم كاملة والقيام بالواجب على أكمل وجه، وحرصاً منهم على انتظام الأعمال والوظائف (٤) .

---

(١) موفق سالم نوري : العامة والسلطة، ص ١٧٠ .

(٢) اقتصرت المصادرات في بداية امرها على مصادرة اموال الولاة والعمال والموظفين ومن له صلة بالدولة الا انها خرجت عن المألوف واصبحت شبه ضريبة وسياسة مالية متبعة من قبل الدولة حتى شملت فئات عديدة كالوزراء وابنائهم وحاشيتهم، والكتاب والقضاة والشرطة والجند والجهابذة والصيارفة والتجار واصحاب المواريث والاطباء والعلماء والزراع ، للاستزادة والتوسع ينظر : تحسين حميد مجيد : المصادرات في العراق في القرنين الثالث والرابع الهجري طبيعتها واثارها السياسية والاقتصادية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠م ، ص ١٤٣ ــ ٢٣٣ .

(٣) التنوخي : ابو علي المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم البصري، الفرج بعد الشدة، دار الكتب العلمية ، ط٢ (بيروت : ٢٠٠٥) ، ص ١٤٨ ــ ١٤٩ .

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ٦ / ص ٢٤٢ .

وكان من حرصهم الشديد على أموال الأوقاف التي يعود نفعها على الفقراء والمعوزين وأصحاب الحاجات إلى درجة أنهم كانوا يقفون في وجه من يحاول الاستحواذ عليها وضد مصادرة الدولة لتلك الأموال والممتلكات، لان الإسلام يحترم الحقوق الشخصية، ففي سنة (٢٨٣هـ / ٨٩٦م) امتنع القاضي أبو خازم الحنفي من استلام مبالغ الأوقاف وتوزيعها على مستحقيها إلا بعد استحصال مبالغ الأراضي التي تعود للحسن بن سهل والتي أدخلها الخليفة المعتضد بالله في قصره المعروف بالحسنى، فلما علم الخليفة بامتناع القاضي وحلفه، دفع مبلغ اربعمائة دينار بعد أن وزنها ودقق في عيارها وأمر بتسليمها إلى القاضي، فكثر شكر الناس لأبي خازم لإقدامه على الخليفة بمثل ذلك، وشكرهم للخليفة المعتضد بالله في إنصافه[١] .

ووقف العلماء موقفاً صلباً ضد قيام الدولة بمصادرة أموال المواريث التي لا وارث لها ووضعها في بيت المال، على اعتبار أن ذوي الأرحام من أقرباء المتوفى أولى بالميراث من بيت المال[٢] ، وقد لجأت الدولة العباسية إلى مصادرة أموال المواريث بداعي مواجهة العجز المالي الذي تعاني منه الدولة وتغطية النفقات العامة، مما دفع الخليفة المعتضد بالله إلى الاستجابة وأصدر منشوراً عاماً إلى جميع الأمصار والنواحي والمدن في سنة (٢٨٣هـ / ٨٩٦م) بإلغاء ديوان المواريث وصرف عماله، وبرد التركة على الورثة من ذوي الأرحام[٣] .

---

(١) المصدر نفسه ، ١٣ / ٣٩ .

(٢) يبدو ان هناك محاولات عديدة من المتنفذين في الدولة العباسية لوضع اليد على تركات الاغنياء بحجة ان لاوارث لها، ومنذ عهد الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦ ــ ٢٧٩هـ / ٨٦٩ ــ ٨٩٢م) وضعت الضريبة على المواريث ولأول مرة، وانشأ لذلك ديوان المواريث (الحشر)، وقلد العمال امرها، بدلاً من الفقهاء، لجباية الضريبة ومصادرة تركات من توفي، ولا وارث له من عصبه، ويبدو ان مما شجع الدولة على هذا العمل ان هناك من العلماء والفقهاء من يرى ان بيت المال أحق من الاباعد من ذوي الارحام، أي انها استندت على اساس شرعي، في وقت كانت بأمس الحاجة الى الاموال لتغطية العجز الحاصل في موازنتها المالية . ينظر: عريب القرطبي ، ابن سعد : صلة تاريخ الطبري ، منشور ضمن الجزء ١١ من تاريخ الرسل والملوك ، دار التراث ، ط٢ (بيروت : ١٣٨٧هـ) ، ١١ / ١٠٢ .

(٣) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي : تاريخ الرسل والملوك ، دار التراث ، ط٢ (بيروت : ١٣٨٧هـ) ، ١٠ / ٤٤ ؛ ابن الجوزي : المنتظم، ١٢ / ٣٥٩ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ٦ / ٤٨٦ ؛ الهمذاني ، محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن احمد : تكملة تاريخ الطبري ، منشور ضمن الجزء ١١ من تاريخ الرسل والملوك ، دار التراث ، ط٢ (بيروت : ١٣٨٧هـ) ، ١١ / ٣٢٦ ــ ٣٢٧ ؛ الصابئ ، ابو الحسين هلال بن المحسن : الوزراء أو تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، دار الافاق العربية ، (القاهرة : ٢٠٠٣م) ، ص ٢٦٨ ــ ٢٧٥ .

ووصل الأمر من عناية العلماء بأموال الأيتام إلى درجة أن رفض القاضي إبـراهيم بـن اسحق بن أبي العنبس الزهري (ت٢٧٧هـ / ٨٩٠م) في سنة (٢٥٤هـ / ٨٦٨م) أن يـدفع للموفق أموال الأيتام على سبيل القرض، وقـال : ((لا والله، ولا حبـة منهـا، فـصرفه عـن الحكم))[١] .

وأسهموا في الدفاع عن الناس تجاه الضرائب التي تثقل كاهـل الفقـراء، أو الالتزامـات المالية التي تلزمها الدولة للعامة من اجل الصرف على بعض المشاريع أو في النفقـات العامـة، فعندما رغب الخليفة المسترشد (٥١٢ ــ ٥٢٩هـ / ١١١٨ ــ ١١٣٥م) بتقوية الجيش وبنـاء سور بغداد أمر بان تجمع الأموال من الناس، لكن الفقهاء دافعوا عن العامة وأوضحوا للخليفة مـا يعانونه من ضائقة اقتصادية فامتثل الخليفة لندائهم[٢] .

وسأل أبو بكر الدينوري الزاهد جلال الدولة أن يلغي ضريبة الملح التي كانت تدر عليـه في السنة ألفي دينار، واعلمه بما يصيب الناس من الأذى منها، فاستجاب له وأمر برفعها وكتـب منشوراً بذلك وكان ذلك في عام (٤٣١هـ / ١٠٣٩م)[٣] .

٨ ـ توجيه الدولة نحو خدمة المجتمع :

واسهم العلماء في توجيه الدولة نحو خدمة المجتمع، والعمل على مساندة العامة والوقوف الى جانبهم وتبني تطلعاتهم المشروعة وقضاء حوائجهم، فحين اطلع الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب (ت١٥٩هـ / ٧٧٥م) الخليفة المنصور على أحوال الناس في بغداد وحاجتهم إلى الأموال، وطالبه بإعانتهم من أموال الفيء، ولما حاول الاعتذار بان تلك الأموال مخصصة لسد الثغور وتجهيز الجيوش، ((فقال بن أبى ذئب: فقد سد الثغور وجيش الجيوش وفتح الفتوح وأعطى الناس أعطياتهم من هو خير منك، فقال المنصور: ومن هو ويلك، قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فنكس الخليفة المنصور ...))[٤] ، ولم يهله ان قال

---

(١) الغزي ، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري : الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، ١ / ٥٧ ؛ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ٦ / ٢٥ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم، ٥ / ١٦١ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٥ / ٢٤٠، ٢٧١ ، ٢٩١ .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ٣ / ١٠٠ ؛ الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ٧ / ١٤٣ .

للخليفة الحق ((الظلم ببابك فاش)) بالرغم مما عرف عن الخليفة المنصور من شدة وقسوة(١).

ولقد أسهمت الحرائق الكبيرة المتكررة في مدينة بغداد وغيرها من مدن الدولة العباسية في حدوث الأزمات الاقتصادية وذهاب أموال العديد من التجار وإفلاسهم، مما حدا ببعض العلماء المقربين من السلطة الى مطالبة الخلفاء بتقديم التعويضات للمتضررين، ففي عام (٢٢٥ هـ / ٨٣٩م) وقع حريق هائل ببغداد في سوق الكرخ ذهبت أموال كبيرة من جرائه وتضرر عدد كبير من التجار، فخاطب القاضي ابن أبي داؤد (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) الخليفة المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ / ٨٣٣ ـ ٨٤٢م) واخبره بما أصاب التجار من جراء الحريق وأشار عليه بتعويضهم بالأموال، واستطاع أن يأخذ منه عشرة ملايين درهم ووزعها على الناس (٢)، فتمكن التجار من بناء دكاكينهم بالجص والآجر وجعلوا أبوابها من الحديد بدلاً من الخشب(٣) .

وكان من العلماء من يعمد إلى صغار الباعة فيعطيهم من عشرة دنانير الى مائة درهم ليزيد من رؤوس اموالهم، كما يعمد إلى من يبيع في الأسواق مثل طنجير، وقدر، وقميص خلق، وما يغلب على الظنّ أنّ مثله لا يباع إلّا من ضرّ شديد، وإلى امرأة عجوز تبيع غزلها، فيعطيهم أضعاف أثمان مايبيعون، ولا يأخذه منهم، ليحسنوا من أوضاعهم المعاشية (٤).

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٣ / ١٠٣ ؛ الذهبي : سير اعلام النبلاء ، ٧ / ١٤٤ .

(٢) وكيع ، ابو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي : اخبار القضاة ، تحقيق : عبد العزيز مصطفى المراغي ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط١ (مصر : ١٩٤٧م) ، ٣ / ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ؛ وذكر الخطيب البغدادي ان ابن أبى دؤاد كلم الخليفة المعتصم في الناس وقال له : يا أمير المؤمنين رعيتك في بلد ابائك ودار ملكهم نزل بهم هذا الأمر فاعطف عليهم بشيء يفرق فيهم يمسك ارماقهم ويبنون به ما انهدم عليهم ويصلحون به أحوالهم فلم يزل ينازله حتى اطلق لهم خمسة آلاف ألف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين ان فرقها عليهم غيرى خفت ان لا يقسم بالسويه فائذن لي في تولى امرها ليكون الأجر اوفر والثناء أكثر، قال: ذلك إليك، فقسمها على مقادير الناس وما ذهب منهم بنهاية ما يقدر عليه من الاحتياط، واحتاج إلى زيادة فازدادها من المعتصم وغرم من ماله في ذلك غرما كثيرا فكانت هذه من فضائله التي لم يكن لأحد مثلها. ينظر: تاريخ بغداد، ٤ / ١٤٩ ؛ التنوخي: نشوار المحاضرة، ٢ / ١٠١ ـ ١٠٢.

(٣) اليعقوبي ، ابو جعفر احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب البغدادي : البلدان ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت : ٢٠٠٢م) ، ص ١٢٤ .

(٤) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ١ / ١١٧ ـ ١١٨ .

٩ ـ الدور الرقابي للمعاملات التجارية والمالية :

وأما عن دورهم الرقابي على الأسواق والمعاملات التجارية الجارية فيها، فكان من يشغل منهم وظيفة المحتسب يؤدي واجبه ودوره في منع كل المخالفات وأعمال الاحتكار والغش والتدليس، ومن صلاحيته مراقبة المكاييل والموازين، وله أن يمنع من يطففها أو يبخسها، وان يؤدب ويعاقب من يقدم على فعل ذلك، وإذا شك في مكاييل آهل السوق وموازينهم، فله أن يختبرها ويفحصها[١]، وله أن يجبرهم على إعطاء المكاييل والموازين حقها حتى لا تقع الناس فريسة للغش والاحتيال وتدفع مبلغاً من المال اكبر من السعر المحدد، حتى وان كان ذلك على حساب تعرضه للضرب والأذى، ففي سنة (٥٦٣هـ / ١١٦٧م) جلس المحتسب بباب بدر على ما جرت به العادة ، فألقى القبض على جماعة من المتعيشين وأمر بتأديبهم، فعوقبوا وحبسوا[٢] .

١٠ ـ دورهم في الإصلاح المالي والحد من الأزمة المالية :

واسهم العلماء بحماية العملة الإسلامية من عمليات التزييف والتلاعب بأوزانها دعماً لاقتصاد الدولة وحماية للعامة من استغلال المزيفين، وذلك بالإشراف على دار الضرب (السكة) ومراقبة العاملين فيها، والتشديد عليهم، ومطالبتهم بسك النقد الجيد فقط، وعدم التلاعب بالأوزان والعيار المعتمد، واتخاذ الإجراءات الرادعة للمخالفين، ومحاسبتهم وإنزال اشد العقوبات بحقهم . ففي سنة (٣٤٦هـ / ٩٥٧م) تولى الفقيه القاضي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد التنوخي (ت ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م) العيار بدار الضرب بسوق الاحواز [٣]، وكان يضع حرف التاء على السكة ليعلم انه متولي العيار، وتولاها في مدينة الري على عهد الخليفة هارون الرشيد المحدث الجراح بن مليح والد وكيع بن الجراح، وتولى بيت المال ببغداد[٤]، وتولى العيار بدار الضرب عرس بن محمد بن عرس (ت ٤١٥هـ / ١٠٢٤م)[٥] .

---

(١) للاستزادة حول موضوع الدور الرقابي للمعاملات التجارية . ينظر : حسين علي المسيري : تجارة العراق في العصر العباسي ، دار السلاسل ، (الكويت : ١٩٨٢م) ، ص ١٣٤ ـ ١٤٦ .

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ١٠ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٤ / ١٥٩ .

(٤) الذهبي : سير اعلام النبلاء، ٧ / ٥٧٤ .

(٥) ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد ، منشور ضمن كتاب تاريخ بغداد وذيوله ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت : ١٤١٧هـ) ، ١٧ / ١٧٢ .

ولحماية العملة من تدهور قيمتها الشرائية أو الصرفية، وحماية الأفراد منتجين ومستهلكين من ضياع أموالهم، فقد اجتمع الفقهاء من مختلف المذاهب بجامع القصر في سنة (٤٦٤ هـ / ١٠٧١م) وطالبوا الدولة ((ضرب دراهم تقع المعاملة بها، عوض القراضة ــ كسر جزء صغير من الدينار))[١]، فأمر الخليفة بتنفيذ ما طالب به الفقهاء .

ويبدو أن التعامل بـ " القراضة "ظل مستمراً بين العامة إلى سنة (٤٨٦هـ / ١٠٩٣م) ، مما دفع الواعظ ابو الحسين العبادي (ت ٤٩٧هـ / ١١٠٣م) بالكف عن التعامل بالقراضة والذي كان منتشراً بين الناس بشكل كبير، والتبايع بها فقد كانوا يبيعون الدرهم او الدينار المقروض بالدرهم او الدينار الصحيح مع إعطاء الفارق بينهما، لأنه من البيوع الربوية[٢]، لان التعامل بالربا سبباً من أسباب ابتلاء الله للإنسان بالأزمات الاقتصادية وان كان على شكل بيع ، وعلى الخليفة أن يتدخل لمنعه بمعاقبة من يتعاملون به، سواء كانوا افراداً، او تجاراً ، او مؤسسات نقدية .

ويحق للدولة التدخل في الأموال الخاصة للإفراد على الرغم من تعارض ذلك من الحرية الاقتصادية إذا انحرف عن الطريق الذي رسمه التشريع الإسلامي، لان التشريع قد فرض فرائض، واوجب على المسلمين أتباعها، وتنفيذ ما جاء بها، فإذا امتنعوا عن ذلك، وجب التدخل لحماية المجتمع من خطرهم [٣]، ولإنقاذ الرعية من عملية الصرف المشتملة على الربا، فقد أمر الخليفة المستنصر (٦٢٣ ــ ٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ ــ ١٢٤٢م) في سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) بمنع التعامل بالقراضة وضرب دراهم فضة للتعامل بها عوضاً عن القراضة، وقرر سعرها كل عشرة دراهم بدينار، وأعطى الصيارف منها ما يعاملون الناس به[٤].هذا فضلاً عن دور

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم، ١٦ / ١٣٩ .

(٢) ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، الملقب بعز الدين: الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، (بيروت ــ ١٩٩٧م) ٨ / ٣٧٣ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ١٧ / ٣ ــ ٤ .

(٣) عصام عباس محمد علي نقلي : تحليل الفكر الاقتصادي في العصر العباسي الاول ومدى الاستفادة منه في الاقتصاد المعاصر، اصدارات مركز بحوث الدراسات الاسلامية، (مكة المكرمة : ١٤١٦هـ)، ١٣٤ .

(٤) ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن احمد بن محمد الصابوني : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (المنسوب) ، تحقيق : مصطفى جواد ومحمد رضا الشبيبي ، المكتبة العربية ، (بغداد: ١٩٣٢)، ص ٦٤ .

المحتسب في السوق، والإجراءات الأخرى التي يتخذها تجاه تزييف العملة من قبل المدلسين والمزيفيين للعملة، بقصد قطع الطريق عليهم وتحقيق إغراضهم الدنيئة، ومنع انتشارها وتداولها بين الناس بشكل كبير، مما يلحق ضرراً كبيراً بالآخرين، وفي هذا الصدد يقول يحيى بن عمر: ((ولا يغفل أن ظهر في سوقكم دراهم مبهرجة أو مخلوطة بالنحاس، وان يتشدد فيها ويبحث عمن احدثها، فإذا اظفر به إن كان واحداً أو جماعة ان يناله بشدة النكال والعقوبة، ويأمر أن يطاف بهم في الأسواق ويشرد بهم من خلفهم، لعلهم يتقون عظيم ما نزل بهم من العقوبة، ثم يحبسهم على قدر ما يراه، ويأمر من يثق به أن يتعاهد ذلك من السوق حتى نطيب دراهمهم ودنانيرهم وتحرز نقودهم))[١] .

١١ ـ محاربة الفساد ومحاولات الإصلاح الإداري :

وعلى الرغم من امتناع بعض العلماء ولاسيما الفقهاء من تولي المناصب والوظائف في الدولة العباسية وموقفهم الرافض لهذه المسألة ، إلا أن ذلك لا يمثل اتجاهاً عاماً وثابتاً بدليل تولي العديد من الفقهاء للمناصب الإدارية من اجل إقامة العدل وإقرار الحق ومناصرة الدولة في تحقيق ذلك[٢]، ولعل أهم المناصب الإدارية التي تولاها العلماء منصب الوزارة[٣] ومنصب القاضي وقاضي القضاة، والنظر في المظالم والحسبة والحجابة والدواوين

---

(١) يحيى بن عمر الاندلسي : احكام السوق ، تحقيق : حسن حسني عبد الوهاب ، الشركة التونسية للتوزيع (تونس : د.ت) ، ص ٢ ، ٤٠ .

(٢) اشار احد الباحثين الى ان الواقع العملي للعلماء انهم نزعوا الى العمل كموظفين للدولة، حتى اذا جاء العصر السلجوقي ((اصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله)). ينظر: كارلا ال كاستر : دراسة في الادارة المدنية ، ص ٥٨ ؛ وينظر : فارس محمود ذنون : المكانة الاجتماعية للفقهاء في العراق في العصر العباسي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الموصل ، كلية الاداب ، (الموصل : ١٩٨٩) ، ص ٤٦ ــ ٤٨ .

(٣) هناك اشارات عديدة عن تولي العلماء لمنصب الوزارة ، ينظر مثلاً : الذهبي : دول الاسلام ، ٢ / ٧٤ ؛ ابن الجوزي : المنتظم، ٩ / ٢٢ــ ٢٤ ؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك : الوافي بالوفيات ، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث (بيروت : ٢٠٠٠م) ، ٨ / ٧١ . وفي دراسة لاحد الباحثين اشار فيها الى ان ((هناك امثلة كثيرة عن قاضي القضاة في بغداد وغيره من الموظفين الدينيين الاخرين يعملون كنواب للوزير او وزراء للخلفاء ، وان احد الوزراء لاخر سلطان من سلاطين السلاجقة طغرل بن ارسلان بن طغرل كان قاضياً .... وهناك امثلة عن قضاة عينوا وزراء او موظفين يمارسون سلطة مطلقة في ادارة المدينة او الاقليم في الدويلات التي اعقبت الامبراطورية السلجوقية ولاسيما في الموصل وسورية)) . ينظر : كارلا ال كاستر : دراسة في الادارة المدنية ، ص ٦٠ ــ ٦١ .

والإشراف على دار الضرب (السكة) وبيت المال وولاية الشرطة[١] والإشراف على السجون الخاصة بالقضاة والتي تسمى بـ (حبوس القضاة)[٢]، والإشراف على المستشفيات ودور المرضى[٣] . وبحكم تولي بعض العلماء للمناصب الإدارية والمالية فقد كانوا يبصرون الدولة ويوجهونها نحو الخير وخدمة المجتمع من جهة، ومساندة العامة وتبني تطلعاتهم وقضاء حوائجهم، ورفع الأذى عنهم، وحل مشكلاتهم من جهة أخرى، فزاد ذلك من نفوذهم الاجتماعي .

ـ إن إشراف العلماء على الدواوين وقيامهم ببعض المهام الإدارية في مؤسسات الدولة ولا سيما المرتبطة منها بالناحية المالية[٤] .

كان له دور كبير في الحفاظ على أموال الدولة والتقليل من الفساد الإداري والمالي الذي أصبح مستشرياً في جميع مفاصل الدولة أثناء حقب ضعف الدولة العباسية واضمحلال دور الخليفة وتسلط العناصر الفارسية والتركية على السلطة كحقبة إمرة الأمراء والتسلط البويهي

(١) مصطفى الرافعي : حضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة، ط٢ (بيروت : ١٩٦٨م)، ص٢٤٤ ؛ محمد سلام مدكور : القضاء في الاسلام، مطبعة العالمية (القاهرة : ١٩٦٤م)، ص ٣١ .

(٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريده، ط٤ (بيروت : ١٩٦٧م) ، ١ / ٤١٢ .

(٣) ذكرت المصادر التاريخية عدداً لابأس به ممن تولى وظيفة الاشراف على المستشفيات ودور المرضى ومراقبة سير العمل فيها واحوال المرضى، ينظر: الصفدي : الوافي بالوفيات، ٧ / ٣٢٣ ؛ الكتبي، محمد بن شاكر : فوات الوفيات، تحقيق : احسان عباس، دار صادر، (بيروت : ١٩٧٤) ، ٢ / ٤٠٥ .

(٤) ومن الدواوين المالية التي تولاها العلماء ديوان الزمام وهو الديوان الذي يشرف على اعمال الدواوين الاخرى من الناحية المالية، وكذلك ديوان الصدقات ومهمته النظر في اموال الزكاة، وديوان الجوالي ومهمته النظر في الجزية لاهل الذمة، وديوان التركات الحشرية ومهمته النظر في الاموال التي لا وارث لها، وديوان الوقوف الذي يعنى بالاملاك التي يوقفها الناس في سبيل الله ويكون ريعها للمصلحة العامة . ينظر : ابن سعد ، ابو عبد الله محمد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي : الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت : ١٩٩٠م) ، ٧ / ٣٢٥ ؛ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ١ / ٩١ ، ٣ / ٣٥١ ، ١٤ / ١٩٤ ، ١٥ / ٣٦٥ , ٣٨٥ ، ١٦ / ١٩٥ ، ١٧ / ٣٠ , ١٠٦ , ١٠٨ , ١١٨ ، ١٨ / ٧ ، ١٩ / ٥٤ , ١٦٥ , ١٧٨ , ٢٠٢ ؛ ابن رجب الحنبلي : الذيل على طبقات الحنابلة، ١ / ٤١٧ ، ٢ / ١٢١ , ٢٥٨ ، ٣ / ٤٤٠ , ٤٤١ , ٤٥٤ ,٤٧٣ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ٥ / ٧١ .

والسلجوقي[١]، ولاسيما أن كتاب الدواوين كانوا يختارون من الفقهاء وأبنائهم[٢]، الأمر الذي كـــان له أثره في التقليل من الفساد الإداري والمالي، ولاشك أن الفقهاء غير العاملين في وظائف الدولة قد شكلوا من جانبهم سلطة رقابية بما أبدوه من ملاحظات على عمل أجهزة الدولة المختلفة، بدءاً من الخليفة وانتهاءً بأصغر الموظفين[٣]. وكـــانوا يحـــضرون منـــاظرات الـــوزراء المخلـــوعين وغيرهم من كبار الموظفين ومحاكماتهم ليشهدوا على تقـــصيرهم وإخلالهـــم بـــأدائهم الـــوظيفي وتلاعبهم بأموال الدولة وليوقعوا على الأحكام الصادرة بحقهم ليكون الحكم أكثر شرعية وقبـــولاً لدى الناس [٤].

١٢ ـ إجراءاتهم للحد من آثار الكوارث الطبيعية :

إن الجدب والقحط من الكوارث الطبيعية ويعدان من أهم الأسباب التي تؤدي إلى حـــدوث الأزمات الاقتصادية[٥]، ومن أولى طرق المعالجة لإزالتهما أو التقليل مـــن أضـــرارهما، ســـنة الاستسقاء لذا نجد علماء الدين يهتمون بهذه السنة النبوية المؤكدة التي مارسها النبي ﷺ في عهده أكثر من مرة وكانت عاملاً مهما من عوامل ذهاب الجدب والقحط، كما مارسها خلفاؤه من بعـــده رضوان الله عليهم أجمعين .

وكان للعلماء جهوداً كبيرة في درء أخطار الفيضانات بمـــشاركاتهم الفعليـــة أو بتحـــشيد طاقات العامة في السيطرة على الفيضان، ففي سنة (٤٦٨هـــ / ١٠٧٥م) شهد نهر دجلة زيادة

---

(١) حول اعمال الدواوين ودورها الرقابي، ينظر : حسام قوام السامرائي : المؤسسات الادارية في الدولة العباسية في الفترة (٢٤٧ ــ ٣٣٤هــ / ٨٦١ ــ ٩٤٥م)، مكتبة دار الفتح ، (دمشق : ١٩٧١)، ص ١٩١ ــ ٢٩١ ؛ حسين فلاح الكساسبة : المؤسسات الادارية في مركز الخلافة العباسية (الدواوين)، د.م (د.م : د.ت) ، ص ٨٥ ــ ١٥٢ ؛ خولة عيسى صالح: الرقابة الادارية والمالية في الدولة العربية الاسلامية ، مطبعة بيت الحكمة، (بغداد : ٢٠٠١) ، ص ١٤١ ــ ١٩١ .

(٢) الاصفهاني : الاغاني ، ٤ / ٣٩٨ ؛ نشأت نور الدين الخطيب : المجتمع العباسي، مطبعة الـــشمس ، ط١ (بيروت : ١٩٩٦)، ص ٣٣٠ .

(٣) موفق سالم نوري : العامة والسلطة في بغداد، ص ١٧٤ ــ ١٧٦ .

(٤) للتوسع والمزيد حول هذه المحاكمات ينظر: مسكويه: تجارب الامم، ١ / ٦٠ ــ ٦١ ، ٩٩ ــ ١٠٠ ، ١٥٣ ، ١٨٧ ؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٦ / ٣١٠ ــ ٣١١ ؛ مجهول: العيون والحدائق، ج٤ ق١ / ١٩٧ .

(٥) غامس خضير حسن الدوري : الكوارث الطبيعية وآثارها في العراق حتى نهاية الدولة العباســـية ، رســـالة دكتوراه (غير منشورة) كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٦م ، ص ٨٦ وما بعدها ؛ مهند نافع خطاب المختار : الازمات الاقتصادية في العراق (١٣٢ ــ ٤٤٧هــ / ٧٤٩ ــ ١٠٥٥م) ، ص ٢٠ وما بعدها .

كبيرة في الماء، أشرفت معها مدينة بغداد على الغرق إذ امتد الماء إلى قبر الامام احمد بن حنبل ودخل مدرسة أبي حنيفة، فاشترك الوعاظ في تشجيع العامة على الخروج لمكافحة خطر الفيضان، إذ ذكر ابن الجوزي في حوادث تلك السنة ((اشتغل الناس بالعمل في القورج، وتقدم من الديوان إلى الوعاظ بالخروج مع العوام ليعمل الناس كافة))[١] .

وكان لجهود العلماء وإسهاماتهم في بناء المارستانات أو تجهيز البعض المتنقل منها وتوزيع الأدوية في أوقات انتشار المرض وتفشي الوباء وغيرها من الخدمات الصحية الوقائية ، دور كبير في توفير فرص الشفاء والوقاية من الأمراض والأوبئة المتفشية في تلك الحقبة .

واسهم الأطباء في تقديم بعض الخدمات الطبية للمرضى من الفقراء والمساكين مروءة ومساعدة من دون اجر أو جعالة، كما كانوا يتصدقون ويقومون بأعمال البر والمعروف ، ((وتفقد المرضى من الفقراء والمساكين والأخذ بأيدي المنكوبين والمرهوقين على ما يتجاوز الحد في الصفة والشرح))[٢]، وقام الطبيب سنان بن ثابت، في السنة التي تفشت فيها الأمراض، بتقديم الخدمات الصحية للسجناء وأهل القرى والأرياف التي تخلو من المستشفيات، والبعيدة عن الرعاية الصحية[٣]،والطبيب ابن جزلة (ت ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م) ذكر عنه انه ((كان يطيب أهل محلته وسائر معارفه بغير أجرة ولا جملة ، بل احتساباً ومروءة ، ويحمل إليهم الأدوية بغير عوض)) [٤]؛ وكان يتفقد الفقراء ويحسن إليهم [٥].

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم، ١٠ / ٢٤١ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ٢٩٤ .

(٢) ابن ابي اصيبعة، احمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق : نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بيروت : ١٩٦٥م) ، ص ١٩٨ ، ٤١٦ ؛ خضر جاسم محمد الدوري ومؤيد عيدان كاطع : النشاط السياسي والاجتماعي للاطباء في العراق في العصر العباسي، ص ٤٧ ــ ٥١ .

(٣) ابن القفطي ، ابو الحسن جمال الدين علي بن يوسف : تاريخ الحكماء في كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١(بيروت: ٢٠٠٥م) ، ص ١٩٣ ؛ ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ، ١ / ٢١٠ .

(٤) ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٧٣ .

(٥) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر : وفيات الاعيان وانباء الزمان ، تحقيق: احسان عباس ، ، دار الثقافة ، دار صادر ، (بيروت : ١٩٧٧) ، ٦ / ٢٦٧ ــ ٢٦٨ .

وكان من اهتمام العلماء بالصحة العامة وتقديم الخدمات الصحية للمرضى توليهم لوظيفة الناظر في المارستان(١) ، ومهمته الإشراف على سير أعمال المستشفى ومراقبة أحوال المرضى واحتياجاتهم ومراقبة أعمال الأطباء ومدى اهتمامهم بالمرضى وما يلزم المشفى من أدوية وحاجيات لسير الأعمال الطبية فيها على أتم وجه، من أمثال أبو منصور عبد الملك بن محمد الملقب بالشيخ الأجل (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) الذي كان ناظراً على البيمارستان العضدي، وكان لجهوده في إدارة البيمارستان دور كبير في مدى التقدم والتطور الذي أحرزه في مختلف النواحي في تعمير بناياته وصيانة أوقافه، وتزويده بما يحتاج أليه من مستلزمات كالأثاث والأدوية والمؤن والأطباء وغيرهم من العاملين، وزيادة مخصصات الطعام للمقيمين فيه، فضلاً عن تيسير وسائل النقل وعمليات الختان للفقراء والضعفاء(٢)، وابن الكوفي (ت ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م) الذي كان موصوفاً برعايته للمرضى والاهتمام بهم وحسن معاملتهم(٣)؛ وأبو الفضائل عبد الرزاق بن عبد الوهاب (ت ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م) الذي تولى الإشراف على المارستان العضدي ، وكان الأديب عبيد الله بن علي ناظرا في أوقاف المارستان العضدي قد قرأ العديد من كتب الطب فصار يطبب الناس ويدور على المرضى في منازلهم، وكان والداه يخدمان المرضى بالمارستان البتشي، والأديب الشاعر ابن النطروني عبد المنعم بن عبد العزيز كان ناظراً في المارستان العضدي، وعثمان بن الحكيم خدم المرضى بالمارستان العضدي ، وتولى علي بن محمد البسطامي القضاء بباب الطاق والنظر بالمارستان العضدي ، وكان علي بن المعمر كاتباً في أوقاف المارستان العضدي، وعرف عن فتح الدين الشيباني (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ١٥ / ٢٦١ ، ١٧ / ٦٦ ، ١٦ / ٨٩ ، ١٧ / ١٤٠ ، ١٩ / ١١٨ ، ١٩ / ١٥٦ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم، ١٦ / ١٠٧ ــ ١٠٩ ؛ ويرجح احد الباحثين تميز الخدمات العلاجية والوقائية في هذا المشفى وجودة وخدماته يعود الى جهود الدولة وسلسلة النظار الذين اشرفوا على ادارته ورعايته منذ تولي الشيخ الآجل النظر فيه حتى حظي بعدئذ برعاية الخلفاء الشخصية في تعيين النظار له، فضلاً عن رجال الدولة الاخرين. ينظر : عبد الحسين مهدي الرحيم : الخدمات العامة في بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد : ١٩٨٧م)، ص ١٥٤ ــ ١٥٨ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم، ١٦ / ٢٦٣ .

توزيع الأدوية والاشربة والمعاجين في داره في كل يوم جمعة من الأسبوع(١)، ومن ناحية أخرى وردت عدة إشارات إلى مراعاة الأحوال الصحية للسجناء(٢)، وتخصيص الأموال لتحسين ظروفهم باستمرار، ولاسيما ما يتعلق بالجانب المعاشي(٣) .

وكان للخطوات المشتركة من الدولة والعلماء دور كبير في نشر الثقافة الصحية بين الناس جميعاً، ونمو الشعور الإنساني لديهم وإدراكهم أهمية الوقوف إلى جانب المصاب ولو اقتصر الأمر على عيادته فقط، لما لها من أهمية في بث روح الأمل في نفس المريض وتعجيل شفائه، وذكر ابن بسام ((انه أدرك شيوخاً كانوا يسألون الأطباء عن المرضى لعيادتهم))(٤) ، إن ما تعرضت له الدولة العباسية من موجات متعاقبة من الأمراض والأوبئة الشديدة الوطأة التي أوقعت خسائر بشرية ومادية كبيرة، كانت تتطلب تكاتف الدولة والعلماء والعامة لإنقاذ البلاد من آثارها الخطيرة وتقليل الخسائر اقل قدر ممكن .

١٣ ـ المحافظة على امن البلاد واستقراره :

كثيراً ما أدت الاضطرابات السياسية والفتن إلى فقدان الاستقرار والأمن وارتفاع الأسعار والغلاء وحدوث الأزمات الاقتصادية أو الإسهام في حدوثها إلى جانب عوامل أخرى ، مما حدا بالعلماء إلى مساندة الدولة والعمل معها في السيطرة على الأوضاع السياسية والضرب على أيدي مثيري الاضطرابات والفتن والشغب، وكانوا يتصدون لكل من يعبث بأمن البلاد واستقراره ويتطاول على سيادة الدولة وينشر الفوضى والفساد ، ففي سنة (٣٠٦هـ / ٩١٨م) خصص لكل ربع من أرباع المحلات في بغداد فقيهاً ليكون عمل رجال الشرطة ممَّا يفتي به .

وقد وردت إشارات عديدة إلى قيام جماعات متطوعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العلماء ولاسيما الفقهاء منهم ، ومحاربتهم للفساد والرذيلة والبدع، وكان ينشط دورها في

---

(١) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الاداب ج٤ ق٣ / ٣٤ ؛ نقلاً عن عبد الحسين مهدي الرحيم : الخدمات العامة في بغداد ، ص ٨٧ .

(٢) ابن ابي اطيبعة : عيون الانباء ، ص ٣٠١ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل ، ٨ / ١٤٢ ؛ الصابي : الوزراء ، ص ٣١ ، ٢٦ .

(٤) محمد بن احمد المحتسب : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : الدكتور حسام الدين السامرائي ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٦٨) ، ص ١٨٠ .

اوقات استشراء الفساد وغياب او ضعف السلطة المركزية وما يسببه من زيادة في الفساد اقتصاديا واجتماعياً وأخلاقياً[١]، فكانت تقوم بالبحث عن المخالفين وإلقاء القبض عليهم وتسليمهم إلى السلطات الرسمية[٢]، هذا فضلاً عن قيام العديد منهم بتأليف الكتب في هذا الباب والتي كانت تحمل عنوان ((الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) لنشر هذا التشريع الإسلامي في المجتمع كافة، وبيان الأساليب والطرق الصحيحة في كيفية القيام بالأمر بالمعروف وإنكار المنكر .

(١) موفق سالم نوري : العامة والسلطة ، ص ١٨٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الطبري ، ٨ / ٥٥١ ومابعدها ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ١٦ / ١٣٩ .

The Religious Scholars' Attitude and Their Efforts toward the Economic Crises in Iraq during the Abbasid Period

(١٣٢– ٦٥٦ A.H \ ٧٤٩ – ١٢٥٨ A.D)

Asst. Prof.Dr. Mohanad Nafa Al-Mukhtar

- Abstract -

The economic crises had secreted political, economic and social effects in the Abbasid society which some times caused numerous political problem as well as it caused anarchy in the stracture of the Abbasid economy . Further more it had produced numerous social phenomena and diseases that required hard work to confront it . The elite religious scholars and the intellectual leadership of the nation played a great role to face those crises by practicing different procedures whether on the practical aspect or on the intellectual one .

It is familiar that facing such kind of crises requires immediate preventive procedures before the occurrence of the crisis or after it reaches a critical degree . After the occurrence of those crises remedial procedures are require which are represented by administerave, economic and social procedures .

Those scholars have vital participations in all these fields according to their personal abilities and to their effective rank in the Abbasid society at that time .